الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علما ، اللهم إنا نسألك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا .

قال شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له في كتابه «أصول الإيمان» :

باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم

وقول الله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، **وقوله تعالى :** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] ،**وقوله تعالى :** ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢] ، **وقوله تعالى :** ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الانبياء:١٩-٢٠]، **وقوله تعالى :** ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر:١] **وقوله تعالى :** ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٧] .

****

قال المصنف رحمه الله تعالى : ((**باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم**)) هذه ترجمة عقدها رحمه الله تعالى ليبين أصلًا عظيما من أصول الإيمان وركنًا من أركان الدين ألا وهو: الإيمان بالملائكة الكرام عليهم السلام ، وقد قال الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، وقال جل وعلا: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦] ، وقال جل وعلا: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[البقرة:١٧٧]، فجمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات المباركات أصول الإيمان ، ومن جملة هذه الأصول الإيمان بالملائكة .

والملائكة خلقٌ لله عز وجل لم نرهم لكن جاء الوحي بذكرهم ، ومن أبرز صفات أهل الإيمان: الإيمان بالغيب أي بكل ما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسل الله قال الله تعالى: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[البقرة:٢-٣] ؛ أي الذين يؤمنون بكل ما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسل الله لا يترددون في الإيمان بما تخبرهم به الرسل عليهم صلوات الله وسلامه من الأمور المغيبة التي لا يرونها ولا يشاهدونها ، لكنهم يؤمنون بها لإخبار الرسل بها ؛ فهذا من أبرز صفات أهل الإيمان .

والملائكة خلقٌ لله تبارك وتعالى خلقٌ عظيم وخلق عجيب وخلقٌ كبير وخلق عددهم كثير ، ولهم أسماء ولهم أعمال ولهم وظائف ، والإيمان بهذا الخلق لله تبارك وتعالى وبهذا الجند من جنوده تبارك وتعالى حق وواجب وهو أصل من أصول الإيمان؛ ولهذا لما جاء جبريل وهو أحد الملائكة عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم على صورة أعرابي قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن الإيمان؟ قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره)) ؛ فعدَّ صلوات الله وسلامه عليه في أصول الإيمان الإيمان بالملائكة ، ولهذا لا إيمان لمن لا يؤمن بالملائكة ، الذي لا يؤمن بالملائكة لا يؤمن بالله ، وهذا مستفاد من العطف الذي مر معنا في الآيات ، قال الله عز وجل ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾[البقرة:٢٨٥] ، فالذي لا يؤمن بملائكة الله الذين ذكر الله عز وجل خبرهم في القرآن وذكر النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم في السنة هو في الحقيقة ليس مؤمنًا بالله ولا مؤمنًا بالكتب ، لأن الكتب المنزلة على الرسل عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كلها تقرر هذا الأصل وتدعو إلى الإيمان بالملائكة، لأن أمور العقائد عند الأنبياء واحدة لا خلاف بين الأنبياء فيها، كما قال عليه الصلاة والسلام : ((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى)) أي عقيدتنا واحدة . والملائكة هم الذين ينزلون بالوحي على من اصطفاهم الله تبارك وتعالى من البشر ليكونوا رسلا له إلى الناس ، فالإيمان بالملائكة أصل عظيم من أصول الإيمان وركن عظيم من أركان الدين ، ولا إيمان لمن لا يؤمن بملائكة الله الكرام .

والملائكة خلقٌ لله عز وجل أوجدهم بقدرته ، خلقهم سبحانه وتعالى بعد أن لم يكونوا وأوجدهم من العدم ، وخلقهم تبارك وتعالى من نور كما صح بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان خلق الملائكة قبل خلق آدم وخلق ذريته كما يدل على ذلك آيات في القرآن منها قول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة:٣٠] ، هذا قبل أن يخلق الله سبحانه وتعالى آدم وقبل أن يوجده كان الملائكة لهم وجود خلقهم الله عز وجل وأوجدهم جل وعلا وألهمهم سبحانه وتعالى العبادة والطاعة ،

ولهذا لا يُعرف في الملائكة شيء اسمه معصية ، المعصية غير موجودة عندهم لأن الله عز وجل ألهمهم الطاعة لله عز وجل والامتثال لأمره كما قال الله سبحانه: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:٦] ، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:٢٠] فهم في عبادة دائمة وفي طاعة مستمرة وفي امتثال دؤوب لأمر الله تبارك وتعالى وليس فيهم من هو عاصٍ لله تبارك وتعالى وممتنع من طاعته جل وعلا.

وهذا الخلق من خلق الله تبارك وتعالى والجند من جنوده لا يعلم عِظمهم وكِبرهم وضخامة أجسامهم وعددهم إلا الذي خلقهم سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١] ، فلا يعلم هذا الخلق إلا الذي خلقه سبحانه وتعالى ، لكن جاء في القرآن وفي السنة شيء من التفاصيل المتعلقة بالملائكة ؛ كذكر أسماء بعضهم، وذكر أعدادٍ لهم ، وذكر أوصاف لهم ، وذكر وظائف للملائكة ، فالإيمان بكل هذه التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة عن الملائكة هو من الإيمان بالملائكة ، والإيمان بالملائكة من الإيمان بالله عز وجل كما سبق بيان ذلك.

ولهذا إذا قيل ما حقيقة الإيمان بالملائكة؟ أو بم يتلخص هذا الأمر الذي هو الإيمان بالملائكة؟ والجواب: أن الإيمان بالملائكة هو الإيمان بهذا الخلق وهذا الجند لله تبارك وتعالى إيمانًا بأسمائهم ، وأعدادهم ، وأوصافهم ، ووظائفهم؛ إجمالًا فيما أُجمل وتفصيلًا فيما فُصِّل . وهذه الجملة على اختصارها تجمع ما ينبغي أن يؤمَن به فيما يتعلق بالملائكة، وكل ما يتعلق بالإيمان بالملائكة يرجع إلى هذه الأمور الأربعة : الأسماء ، والأعداد ، والأوصاف ، والوظائف ؛ نؤمن بهذه الأمور إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل ، لماذا إجمالا فيما أجمل؟ لأن التفاصيل المتعلقة بالملائكة لم تذكر لنا بكاملها وبتمامها وإنما ذُكر لنا شيء من هذه التفاصيل وقليلٌ منها ، فإيماننا بالملائكة هو إيمان مجمل فيما أجمل من أسمائهم وأعدادهم وأوصافهم ووظائفهم ، وإيمان مفصل فيما فصل من أسماء الملائكة وأعداد الملائكة ووظائف الملائكة ، فما فُصل في الكتاب والسنة مما يتعلق بالملائكة نؤمن به على وجه التفصيل كما جاء ، وما أجمل من اخبارهم وأوصافهم أو أمورهم نؤمن به مجملا .

❖ أسماء الملائكة : لم يأت ذكر في القرآن والسنة إلا لعدد قليل من أسمائهم ؛ فمن سمي لنا منهم آمنا باسمه كما ورد واعتقدنا وجود ملائكة بهذه الأسماء التي جاءت في القرآن وجاءت في السنة ، وما لم يسمَّ من الملائكة نؤمن أيضا به ، نؤمن بمن سمي في القرآن ومن لم يسم ، وليس كل الملائكة هم من سموا في القرآن الكريم أو ذُكرت أسماءهم في القرآن الكريم . وأيضا نؤمن بالأسماء التي تعم الملائة عمومًا ، مثل الملائكة ، وجند الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١] ، والكرام ، والسفرة ، ونحو ذلك من الأسماء التي تجمع الملائكة عموما وتشملهم . وأيضا نؤمن بالأسماء المفصلة التي جاءت في القرآن أو السنة لأفراد من الملائكة مثل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وهؤلاء الثلاثة هم أفضل الملائكة ، ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا قام يصلي من

الليل توسل إلى الله تبارك وتعالى بربوبيته لهؤلاء الثلاثة يخصهم بالذكر لأنهم أشرف الملائكة ((اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) فذِكره عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الثلاثة من الملائكة على وجه الخصوص في هذا الوقت الفاضل والحال الفاضلة واستفتاحه لصلاة الليل صلوات الله وسلامه عليه يدل على شرف هؤلاء الثلاثة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وأيضا جاء في القرآن مالك ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف:٧٧] ومالك هو المقدَّم في خزنة جهنم لأن الذين على جهنم من رؤساء الملائكة والزعماء فيهم تسعة عشر كما قال الله تبارك وتعالى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر:٣٠] أي من الملائكة ، وهؤلاء هم الذين لهم التقدم والرئاسة في الملائكة وفي مقدمة هؤلاء مالك خازن جهنم حمانا الله وحماتكم ووقانا ووقاكم وأجارنا أجمعين من نار جهنم ومن خزي يوم الدين . فهؤلاء الملائكة هم الذين على نار جهنم عليها ليسو هم كل من يقومون بالوظائف المتعلقة بجهنم وإنما هؤلاء تسعة عشر وفي مقدمتهم مالك خازن النار هؤلاء الذين لهم الرئاسة والزعامة فيما يتعلق بأمور جهنم ، وإلا أعداد الملائكة الذين يتعلقون بأمور النار لا يحصيهم إلا الله ، يكفيك أن تعلم في هذا ما صح في صحيح مسلم فيمن يجرون النار إلى أرض المحشر يوم القيامة ، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ((يؤتى بجهنم يوم القيامة ولها سبعون الف زمام ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)) ، فالملائكة الذين وكل الله تبارك وتعالى إليهم جر نار جهنم إلى أرض المحشر يوم القيامة عددهم سبعين ألف في سبعين ألف ، وهذا عدد مهيل جدًا وكلوا بهذه المهمة ، والذين أيضا وكلوا بمهمات أخرى تتعلق بالنار لا يحصيهم إلا الله جاء وصفهم في القرآن ، قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم:٦] فالله جل وعلا وكل بالنار ملائكة هذه صفتهم وهذا نعْتهم كما أخبر رب العالمين ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي أنهم أهل غلظة أهل شدة لا يرحمون أهل النار ولا يعطفون عليهم ، بل مهمتهم إيقاع النكال وإيقاع العقوبة بأهل نار جهنم دون أن يكون هناك عطف أو هناك رحمة ، بل مهمتهم كما أمرهم الله عز وجل يتولون العقوبة ، ولو كان الذي وكل إليه هذه المهمة في النار ليس غليظا ولا شديدا قد يعطف لكن الله عز وجل جعلهم بهذه الصفة نكالًا لأهل النار ، جعل خزنة النار من الملائكة هذه صفتهم ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ، وأيضا جعل سبحانه وتعالى النار نفسها فيها تغيظ على هؤلاء ﴿إِذَا

رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾[الفرقان:١٢] من شدة الغيظ والحنق الذي في النار نفسها على أهلها حمانا الله عز وجل أجمعين من دخولها وأجارنا من ذلك .

فنؤمن بأسماء الملائكة الذين جاء تفصيل أسمائهم في القرآن أو السنة ، ومن ذلكم أيضا ما جاء في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((إذا أدخل الميت في قبره أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر ويقال للآخر النكير ، فيجلسانه ويقولان من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟؟)) وهذا أمر يعاينه الإنسان أول ما يدخل في القبر ، أول ما يدخل في قبره ويدرج فيق قبره يأتيه في القبر ملكان بهذه الصفة يقال لأحدهما «المنكر» ويقال للآخر «النكير» ، قد قال أهل العلم سميا بهذين الاسمين لأنهما يأتيان على هيئة منكرة ، على هيئة غير معهودة للإنسان لم يعهد هذه الصفة ولم يعهد هذا المرأى والمنظر فيأتيان على صورة منكرة يقال لأحدهما«المنكر» ويقال للآخر «النكير» ، ويقعدان الإنسان في قبره ويسألانه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ إلى آخر ما جاء في الحديث . فنؤمن بأسماء الملائكة التي جاءت مفصلة في القرآن ما عُد منها في القرآن نؤمن به وفي السنة ، وما لم يذكر منها فإنا نؤمن به مجملا هذا فيما يتعلق بالأسماء.

❖ أما أعداد الملائكة فإنا أيضا نؤمن بأعداد الملائكة إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فُصل ؛ إجمالا نقول فيما يتعلق بعدد الملائكة: إن عددهم لا يحصيهم إلا الذي خلقهم كما في الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر:٣١] فلا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم تبارك وتعالى ، لكن هناك نصوص كثيرة في السنة تدل على كثرة الملائكة الكاثرة ، بل القرآن أيضا فيه الدلالة على هذا المعنى في مواضع ؛ كقوله تبارك وتعالى في سورة النجم ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦) ﴾ «كم» هنا التكثيرية إشارة إلى كثرتهم الكاثرة وعددهم الهائل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى .

ومما يدل على كثرة الملائكة الحديث الذي سيأتي ذكره عند المصنف في قصة المعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((فرُفع إلي البيت المعمور فقلت لجبريل ما هذا؟ قال هذا البيت المعمور يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون)) يوميا يدخله من الملائكة سبعون ألف ومن دخله منهم لا يعود لدخوله مرة ثانية ؛ فهذا يدل على كثرة الملائكة ، وأيضا يدل على كثرة الملائكة قول النبي صلى الله عليه وسلم ((أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد لله)) وسيأتي الحديث عند المصنف رحمه الله تعالى . فإجمالا نقول عدد الملائكة كثير وهم كثرة كاثرة وعدد كبير جدا ، ولا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم هذا من حيث الإجمال . ومن حيث التفصيل فيما يتعلق بعدد الملائكة نؤمن بالأعداد التفصيلية التي جاءت في القرآن أو في السنة تتعلق

بالملائكة كقوله تعالى في الآية المتقدمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر:٣٠] هذا عدد يتعلق بالملائكة وهم المقدمون فيمن جعلهم الله سبحانه وتعالى على نار جهنم فهذا عددهم ، فنؤمن بهذا العدد على هذا الوجه التفصيلي الوارد في القرآن ، أيضا نؤمن بما دل عليه قول الله تبارك وتعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[الحاقة:١٧] ؛ فهذا عدد يتعلق بالملائكة وهم حملة عرش الرحمن تبارك وتعالى ، فنؤمن بهذا العدد التفصيلي كما جاء ، وأيضا العدد التفصيلي الذي مر معنا قريبا فيمن يجرون نار جهنم إلى أرض المحشر ، أيضا العدد الذي يدل عليه ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨] ملك عن يمينه وملك عن يساره ، العدد التفصيلي الذي يدل عليه قوله ((أتاه ملكان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير)) قال ملكان فمثل هذه الأعداد التفصيلية التي جاءت في القرآن أو السنة نؤمن بها مفصلة كما جاءت.

❖ أوصاف الملائكة وهو الأمر الثالث؛ أيضا نؤمن بأوصاف الملائكة إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فُصل ؛ أما من حيث الإجمال فنحن نؤمن بأن الملائكة من خلق الله سبحانه وتعالى أوجدهم تبارك وتعالى من العدم ، وأنه سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور كما في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارج من نار ، وخُلق ابن آدم مما وصف لكم)) أي من الطين ، فالملائكة خلقوا من نور فنؤمن بذلك نؤمن ألانهم خلق من نور خلقهم الله سبحانه وتعالى ، وأعطاهم تبارك وتعالى من ضخامة الأجسام وكبر الهيئات والقوة والشدة شيئا عظيما يدل على كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى؛ فنؤمن بذلك .

ونؤمن أيضا بأنه تبارك وتعالى جعلهم أولي أجنحة كما قال عز وجل ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[فاطر:١] وأنهم ليسو في عدد الأجنحة التي جعلها الله سبحانه وتعالى فيهم سواء بل متفاوتون في أعداد الأجنحة ، منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاث ومنهم من له أربع ومنهم من له أكثر من ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث ((أنه رأى جبريل وقد سد الأفق وله ستمائة جناح)) ، فهم من أوصافهم أنهم لهم أجنحة، وأيضا من أوصافهم أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم القدرة على التشكل ؛ جبريل مع ضخامة جسمه قد رآه النبي عليه الصلاة والسلام على صورته الحقيقية وقد سد الأفق ، فكان يأتي في بعض المرات إلى النبي صلى الله عليه وسلم على صورة رجل أعرابي ، هذا الجسم الضخم الكبير العظيم الذي يسد على هيئته الحقيقية الأفق يصبح في صورة وجسم رجل ، وهذا من قدرة الله سبحانه وتعالى الجسم الضخم الكبير الذي يسد الأفق يصبح في صورة رجل ، فكان جبريل في بعض المرات يأتي في صورة أعرابي قال عمر رضي الله عنه : ((بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه

منا أحد حتى إذا جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه)) ثم بدأ يسأل في آخر الحديث قال: ((هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) ، وفي سورة مريم قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)﴾ أي على صورة بشر سوي ، في قصة أضياف إبراهيم جاءوا على صورة أضياف من البشر حسان وملاح فجاءوا على هذه الصفة ، أيضا مجيء جبريل إلى النبي عليه الصلاة والسلام على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه من الصحابة ، فأعطاهم الله جل وعلا هذه القدرة على التشكل بحيث أن الملك تكون صورته على صورة بشر على صورة إنسان ؛ فهذا فيما يتعلق بأوصاف الملائكة من حيث الإجمال نؤمن بهذه الأوصاف للملائكة .

وعلى وجه التفصيل ما جاء في القرآن أو السنة من أوصاف للملائكة فنحن أيضا نؤمن بها على الوجه التفصيلي الذي جاء في القرآن أو جاء في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢٠] هذا جبريل ، فوصفه الله تبارك وتعالى بأنه ذي قوة فنؤمن بهذه الصفة ، وأيضا قوله سبحانه وتعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم:٦] وهذه صفة لجبريل أي جميل المنظر حسن الهيئة بهي الشكل ، فمثل هذه الصفات التفصيلية للملائكة نؤمن بها . وأيضا ما جاء في الحديث المتقدم الإشارة إليه أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى جبريل في صورته الحقيقية وقد سد عظم خلقه الأفق وله ستمائة جناح ، فنؤمن بذلك ، وهكذا ما جاء من نصوص في ذكر أوصاف الملاكة على وجه التفصيل كل ذلكم نؤمن به كما ورد ، ومن ذلكم ما ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أُذن لي أن أحدثكم عن أحد الملائكة وهو من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه تخفق فيه الطير سبعمائة سنة)) أي أن المسافة التي بين عاتق الملك وشحمة الأذن يطير فيها الطير سبعمائة سنة ، يعني لو طار طائر من عاتق الملك متجه إلى شحمة أذنه يحتاج إلى سبعمائة سنة طيران حتى يصل إلى شحمة الأذن ، وهذا الحديث صحيح ثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام فنؤمن بذلك ، قال ((ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه يخفق فيه الطير سبعمائة سنة)) وهذه المسافة في حقنا نحن لا تكفي لأن يقف فيها الطير مجرد وقوف فضلا عن الطيران ، ومع ذلك ترى في بعض الناس بل في كثير منهم وهو بهذا الجسم الضعيف وبهذا الجسم الصغير مقارنة بتلك الأجسام من يمشي مختالا متكبرا ومتعاليا ومترفعا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧] . لو ينظر الإنسان ويتأمل الإنسان في خلق جسم الملائكة يعطيه من الاستكانة لله والخضوع لله عز وجل والبعد عن الكبر والتعاظم والترفع على عباد الله ويدرك من هو؟ أنه مخلوق لله تبارك وتعالى، ولله مخلوقات عظيمة جدا وكبيرة أوجدها الله سبحانه وتعالى وخلقها على هيئات ضخمة وكبيرة جدا على ما وُصف لنا في كتاب ربنا وسنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، فنؤمن بأوصاف الملائكة إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصِّل .

❖ ثم الأمر الرابع: وظائف الملائكة ومهامهم التي وكل الله سبحانه وتعالى لهم القيام بها ؛ فهذا أيضا نؤمن به إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل ، أما من حيث الإجمال: فنحن نعتقد أن الملائكة جند لله تبارك وتعالى خلقهم عز وجل وأوجدهم سبحانه وتعالى وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، جند مطيع لله ممتثل لأوامره تبارك وتعالى ولا يعصون الله جل وعلا فيما يأمرهم به ، وهم رسل لله كما يفيد هذا اسمهم وهو «الملائكة» لأن الملائكة كما قال العلماء رحمهم الله تعالى مشتقة من الألوكة وهي الرسالة ، يقال ألكني فلان: أي أرسلني ، فسموا ملائكة لأنهم رسل ، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١] فهم رسل لله تبارك وتعالى وجند له عز وجل لا يعصون الله فيما أمرهم ، وأنهم قد وكل الله سبحانه وتعالى إليهم مهام متنوعة ووظائف متعددة ، فالإيمان بوظائف الملائكة هو من الإيمان بهم.

وأما تفصيلا فيما يتعلق بوظائف الملائكة فإنا نؤمن بالوظائف التفصيلية التي ذكرت في القرآن أو ذكرت في سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ،كقوله تبارك وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١] ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد:١٣] ،وقوله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١] ،وقوله تبارك وتعالى:﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧] ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:٤] ، وقوله تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥] ، وغيرها من الآيات في القرآن الكريم وهي كثيرة جدا تذكر لنا أعمال ووظائف للملائكة .

وهكذا أيضا السنة فيها أحاديث كثيرة جدا تذكر لنا أعمال ووظائف للملائكة ؛ جبريل وكل الله سبحانه وتعالى إليه النزول بالوحي وقد يشاركه في ذلك بعض الملائكة في بعض المرات ، وإسرافيل وكل إليه الله عز وجل النفخ في الصور ، وميكائيل وكل الله سبحانه وتعالى إليه ما يتعلق بالأمطار ونزول الأمطار ، وهكذا من الملائكة من وكل الله عز وجل إليهم قبض الأرواح قال عز وجل :﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي أقرب إلى الميت منكم وأنتم عنده جلوس ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٣-٨٥] أي لا تبصرون ملائكة الله عز وجل الذين أرسلهم سبحانه وتعالى لقبض روحه .

فهذه الوظائف التفصيلية للملائكة نؤمن بها، وأيضا ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((يتعاقبون فيكم -أي فيكم أيها الناس- ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر)) يجتمعون أي يكون التقاء هؤلاء الملائكة في صلاة الصبح وصلاة العصر أي في الأرض ، ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ثم يعرجون أي إلى الله جل وعلا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ قالوا أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون)) ؛ وهذا أيها الإخوة الكرام فيه بيان الشرف العظيم والفضل الكبير الذي يفوز به من يحافظ على الصلوات ولا يضيعها ، يوميا ملائكة تتعاقب ويجتمعون في هاتين الصلاتين ، وإذا عرجوا إلى رب العالمين سألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ قالوا أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، «أتيناهم» أي الملائكة الذين نزلوا الفجر أتوا الناس أي أهل الإيمان وأهل الصلاة وهم يصلون ، وعندما يعرجون العصر تركوهم وهم يصلون ، وهكذا من ينزل العصر أتى إليهم وهم يصلون وإذا عرج الفجر تركهم وهم يصلون ، ولهذا يقولون ((أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون)) ينزل جماعة من الملائكة ويجتمعون في الجماعة الذين نزلوا قبل وتعرج الجماعة التي كانت موجودة أولا وتبقى الأخرى قال ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار)) فمثل هذه الأعمال والوظائف التفصيلية للملائكة التي جاء ذكرها في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه نؤمن بها كما جاءت.

إذًا الإيمان بالملائكة هو الإيمان بهذا الخلق العظيم لله تبارك وتعالى إيمانًا بأسمائهم وأعدادهم وأوصافهم ووظائفهم إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل،كل ذلكم في ضوء ما جاء في كتاب ربنا وسنة نبينا صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا لما عقد المصنف رحمه الله تعالى هذه الترجمة بعنوان ((**باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم**)) ساق أولا آيات من القرآن تتعلق بالملائكة ثم بعد ذلك أحاديث من السنة ؛ وهذا فيه التنبيه إلى أن الإيمان بالملائكة الإيمان بهذا الأصل شأنه كشأن أمور الإيمان يكون على ضوء كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

بدأ أولا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧] ؛ وهذه الآية الكريمة كما أسلفت جمعت أصول الإيمان وبيَّن الله تبارك وتعالى فيها أن حقيقة البر هو الإيمان بهذه الأصول العظام . قال :﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ، وإن كان هذا من البر لكن حقيقة البر هو الإيمان بهذه الأصول العظام وإتْباع هذا الإيمان بالأعمال الصالحات والطاعات الزاكيات كما يبين ذلك تمام الآية ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ إلى آخرها ، فهذه حقيقة البر ، وأساس ذلك وأصله الإيمان بهذه الأصول ؛ وهذا فيه تنبيه إلى أنه لا يحقق البر من لا يؤمن بهذه الأصول أو لا يؤمن ببعضها أو يجحد بعضها ، الذي لا يؤمن بهذه الأصول أو يجحد بعض هذه

الأصول لا يوجد فيه حقيقة البر ، بل إن وُجد فيه شيء من أعمال البر لا تُقبل منه ولا تعد برًا ما لم تكن قائمة على هذه الأصول العظام ، وهذا واضح في دلالة الآية الكريمة ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ فهذه الأعمال والطاعات لابد أن تكون قائمة على هذه الأصول ، فإن لم تكن قائمة على هذه الأصول لا تكون برا ولا تكون عملا صالحا مقبولا كما قال الله جل وعلا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥] ، فالأعمال أيا كانت ومهما كانت إذا لم تكن قائمة على هذه الأصول العظام لا تُقبل من العامل .

وذكر جل وعلا في هذه الأصول العظيمة الإيمان بالملائكة ، ولم يُذكر الإيمان بالقدر في هذه الأصول مع أنه أصل من أصول الإيمان كما مر معنا في حديث جبريل لأنه داخل في الإيمان بالله ، والقدر كما قال الإمام أحمد رحمه الله قدرة الله ، فلم يُذكر لأنه داخل في الإيمان بالله . فإذًا هذه الآية الكريمة جمعت أصول الإيمان ومن بين هذه الأصول الإيمان بالملائكة، ولهذا أورد المصنف رحمه الله تعالى الآية الكريمة في هذا الموضع .

ثم أورد قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] وهنا فيه بيان حال أهل الاستقامة والمحافظة على طاعة الله تبارك وتعالى وملازمة عبادته تبارك وتعالى إلى الممات ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] ، وأن من كانوا على هذه الحال محافظين على طاعة الله مستقيمين على عبادة الله عز وجل إلى أن يتوفاهم الله فإن هؤلاء شأنهم كما أخبر الله عز وجل في هذه الآية تتنزل عليهم الملائكة أي عند قبض أرواحهم ؛ بأي شيء؟ هؤلاء الملائكة لهم مهمة معينة ومحددة وهي حمل البشارة والطمأنينة والتنبيه على عدم الخوف وعدم الحزن فهذه مهمة هؤلاء ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ تبشر هذا الذي تقبض روحه بهذه البشارة العظيمة ، ولهذا يشاهَد ويعايَن في بعض المتوفَّين من يظهر على وجهه البشر ويظهر على وجهه السرور والراحة والسعادة يظهر على بشرتهم، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ ، أي أن هؤلاء الملائكة يقولون لهذا المتوفى : لا تحزن ولا تخاف ؛ والخوف يتعلق بما هو قادم عليه ، والحزن يتعلق بما هو تاركه ، الحزن يتعلق بالأشياء الماضية، والخوف يتعلق بالأشياء القادمة، فهم يطمئنونه بأن لا يخاف ولا يحزن لا يحزن على ما هو تارك ، فإن ما يتركه في حفظ الله عز وجل ، ولا أيضا يخاف مما هو قادم إليه

فهو قادم إلى رحمة الله سبحانه وتعالى وفضله ومنّه فيقولون له اطمئن لا تخف ولا تحزن. مثلها قول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحقاف ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلا تخاف ولا تحزن ويبشرونه بالجنة ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ .

وقيل أيضا إن هذا التنزل يكون في عرصات يوم القيامة إذا قام الناس من قبورهم وبعثوا من قبورهم أصابهم الفزع تأتي الملائكة وتبشر أهل الاستقامة ، وقد قال ابن كثير رحمه الله لا يمنع أن يكون التنزل متكررا عند الموت وعند البعث وفي عرصات يوم القيامة ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ .

إذًا هذا أيضا من الإيمان بالملائكة أن نؤمن بأن الله عز وجل وكل إلى نفر من الملائكة يقومون بهذا العمل وهو التنزل على الموتى من أهل الاستقامة بالبشارة وألا تخافوا ولا تحزنوا كما بيَّن الله سبحانه وتعالى ذلك في الآية الكريمة .

ولعلنا أيها الإخوة نستفيد من هذا ومن غيره مما مر ومما سيأتي: أثر الإيمان بالملائكة على العبد في سلوكه وتعبُّده ، لأنك إذا قرأت هذه الآيات وآمنت بهذا التنزل من الملائكة في هذه اللحظات امتلأ قلبك شوقًا وطمعا أن تكون من هؤلاء الذين تتنزل عليهم الملائكة في هذا الوقت العصيب وهذا الوقت الحرج مطمئنة مبشِّرة قائلة له لا تخاف ولا تحزن ؛ فيحرك هذا الإيمان في قلب الإنسان حب الاستقامة والمحافظة على طاعة الله ، لأنه يعلم من هذه النصوص أنه إذا استقام على طاعة الله وحافظ على عبادة الله ولزم أمر الله تبارك وتعالى كان بإذن الله من هؤلاء الذين تتنزل عليهم الملائكة مبشرة له مطمئنة له ، فيكون له أثر على العبد في عبادته وفي سلوكه .

الحديث الذي مر معنا قريبا ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)) والله من الأعظم الأحاديث التي تجعل الإنسان تشتد محافظته على الصلوات ، كيف يليق بإنسان عاقل يعلم أن الملائكة تنزل في هذين الوقتين الفاضلين وأنها في كل يوم تعرج إلى الله ويسألها الله كيف تركتم عبادي فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، كيف يرضى إنسان لنفسه أنه في مثل هذا الوقت لا يكون في عداد المصلين وإنما في عداد النائمين والمفرطين والمضيعين . فإذًا الإيمان بالملائكة له أثر عظيم جدا في العبادة . الخوف من النار ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[التحريم:٦] لما يتأمل الإنسان في هذا المعنى يتأمل في الآيات الخرى التي تذكر وصاف وأعمال ووظائف للملائكة كل هذه الأمور تجعل الإنسان يكون لها الأثر العظيم في حياة الإنسان وفي عمله .

أنظر إلى أثر الإيمان بالملائكة في قول النبي عليه الصلاة والسلام ((كيف أنعم وقد التقم ملك الصور الصور وأصغى بسمعه ينتظر أن يؤمر)) يعني ينتظر أن يأمره الله سبحانه وتعالى بالنفخ في الصور . فمثل هذه المعاني

والأمور التي تتعلق بالملائكة الإيمان بها استشعارها استحضار الإيمان بها مما يحرك في قلب الإنسان صلاح العمل والاستقامة على الطاعة والبعد عن المعاصي والآثام . الآن من أقدمت نفسه على معصية وارتكاب ذنب من الذنوب ثم ذكر قول الله سبحانه وتعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨] أي كاتب من الملائكة عن يمينه وكاتب من الملائكة عن يساره ، إن كان القول سديدا وصالحا كتب في حسناته ، وإن كان إثما وسيئة كتب في سيئاته ، فإذا استحضر الإنسان أن عليه رقيب وعتيد يكتبان ما يكون منه وما يقوله وما يفعله هذا الاستحضار للملائكة والإيمان بالملائكة الذي يكون حاضر في قلب الإنسان له آثاره العظيمة على العبد في حياته في سلوكه في عبادته لله تبارك وتعالى .

ثم أورد رحمه الله قول الله عز وجل: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[النساء:١٧٢] وهذا فيه بيان حال الملائكة وأنهم أهل خضوع وذل وعبودية لله عز وجل وطواعية لأمره وعدم استنكاف أو استكبار أو امتناع أو إباء عن طاعة الله جل وعلا ، بل هم أهل مداومة وملازمة لعبادة الله ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الانبياء:٢٠] ولا يستنكفون من عبادة الله والاستكبار عن طاعته جل علا .

وقد جاءت هذه الآية قبل آية حذر الله تبارك وتعالى فيها من الغلو ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[النساء:١٧١] ؛ فحذر فيها تبارك وتعالى من الغلو في الدين ، ومن الغلو في الدين غلو النصارى في عيسى حيث زعموا أنه ابنًا لله تعالى الله عن ذلك وعبدوه مع الله ، وأيضا وجد من عبد الملائكة مع الله ، ففي هذا السياق بين الرب تبارك وتعالى بطلان ذلك بقوله ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ، وهذا يستفاد منه أن العبد لا يُعبد ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[الأعراف:١٩٤] ، العبد لا يُعبد ليس له حظ من العبادة ، ولهذا بين الله عز وجل بطلان عبادة الملائكة وبطلان عبادة عيسى بقوله ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ؛ فمن كان هذا شأنه مع الله عبد لله لا يستنكف عن عبادة الله يعبد الله يطيع الله كيف يجعل شريكا مع الله في العبادة لو كان عند هؤلاء عقول؟! فالعبادة حق لله تبارك وتعالى ، أما الملائكة والأنبياء والأولياء كل هؤلاء لا يستحقون من العبادة شيء بل هم عبيد لله ، أما العبادة فهي لله وحده أي لا يستنكفون عن عبادة الله تبارك وتعالى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ .

والملائكة شأنهم مع الله هو الذل والخضوع والانكسار قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٣] ، جاء في السنة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((إذا

تكلم الله بالوحي خرت الملائكة صعقة خضعانا لقوله حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم)) الملائكة مع ضخامة أجسامهم وكبرها وقوتهم على ما سبق وصف بعضه فيما تقدم في الأدلة إذا تكلم الله عز وجل بالوحي صعقت خرت صعقة خضَعانا لقوله تبارك وتعالى ، فكيف يُجعل هؤلاء شركاء مع الله تبارك وتعالى في العبادة ، فالملائكة عباد لله سبحانه وتعالى بل قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾[الأنبياء:٢٩] الذي يدَّعي من الملائكة أنه إله مع الله ولا يدعون ذلك بل هم عبيد لله مطيعون له يعاقبهم الله سبحانه وتعالى بإدخالهم النار ويصليهم نار جهنم . فالملائكة عبيد لله تبارك وتعالى .

وهذا فيه تنبيه إلى أن التوحيد والعبادة والإخلاص حق لله عز وجل لا شريك لأحد فيه مهما بلغ جسمه من الكبر، ومهما بلغ من القوة والقدرة ، ومهما أيضا بلغ من الفضل والمكانة والمنزلة ؛ العبادة حق لله تبارك وتعالى وليس لله شريك فيها ، لا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يلتجأ إلا إلى الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يطلب المدد إلا من الله تبارك وتعالى وهذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله .

ثم أورد رحمه الله تعالى قول الله عز وجل : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي له تبارك وتعالى خلقًا وملكا تصريفا وتدبيرا من في السماوات والأرض ، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ أي من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي أنهم في عبادة دائمة لله تبارك وتعالى دون استكبار ودون استحسار أي ملل وسآمة من عبادة الله تبارك وتعالى ، بل هم في عبادة دائمة وطواعية مستمرة ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي لا يصيبهم الفتور بل هم في عبادة مستمرة لله تبارك وتعالى وتسبيح لله عز وجل في الليل والنهار.

ثم أورد قول الله تبارك وتعالى : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[فاطر:١] وهذا فيه من صفة الملائكة أنهم أولوا أجنحة ؛ أي جعل الله سبحانه وتعالى لهم أجنحة ، وهم متفاوتون في أعدادها؛ فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح ، فهذا فيه من صفة الملائكة أنهم أولوا أجنحة ، وأيضا أنهم رسل لله تبارك وتعالى يقومون بتنفيذ أوامره وما يرسله إليه وما يبعثهم للقيام به دون معصية أو امتناع أو إباء .

ثم ختم الآيات بقوله عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾ [غافر:٧-٨] فذكر هنا تبارك وتعالى حملة العرش من الملائكة ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ ، وأيضا ذكر تبارك وتعالى من حول العرش من الملائكة فالعرش له حملة ، وحول العرش أيضا حملة ، وقد جُمعوا في الذكر في هذه الآية الحملة ومن حول عرش الرحمن من الملائكة ، وأفرد الحملة بالذكر في قوله تبارك وتعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧] ، وأفرد من حول العرش بالذكر في قوله تبارك وتعالى ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:٧٥] .

وهنا جمع بين الحملة ومن حول العرش قال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ العرش: عرش الرحمن ونحن نؤمن به ، نؤمن بعرش الرحمن العظيم المجيد الكريم كما وصفه الله تبارك وتعالى بذلك ، ونؤمن بأن له قوائم كما جاء في الصحيح ((وإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش)) ، فنحن نؤمن بالعرش وأنه أعظم المخلوقات وأكبرها وسقفها وأثقلها قال عليه الصلاة والسلام ((سبحان الله وبحمده عدد خلقه وزنة عرشه)) ذكر أثقل الأوزان وهو وزن العرش ، فالعرش أثقل شيء وأكبر شيء وأعظم شيء وله حملة من الملائكة ، وأيضا حوله ملائكة حافون من حول العرش نؤمن بذلك ، ونؤمن بما أخبر الله سبحانه وتعالى بقه من حال هؤلاء أنهم يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي أنهم في تسبيح دائم وتحميد مستمر لله تبارك وتعالى لا يفترون من ذلك دائما يسبحونه ويحمدون الله عز وجل مداومين على طاعته جل وعلا ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي هم من أهل الإيمان بالله عز وجل .

قال: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وانظر هنا إلى الرابطة العظيمة الوثيقة بين أهل الإيمان والملائكة ، وحب الملائكة لأهل الإيمان وأهل الطاعة العبادة لله تبارك وتعالى، قال: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهذا يبين لك أن رابطة الإيمان هي أقوى الروابط ، يدل لذلك أن الملائكة جنس مختلف عن جنس البشر ، الملائكة خلقوا من نور والبشر خلقوا من طين فالملائكة جنسهم آخر ، لكن رابطة الإيمان لما وجدت ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أصبح عندهم هذا الحب لأهل الإيمان والدعاء الدائم المستمر لهم والاستغفار لهم ، اسمع الدعاء الذي يدعو به هؤلاء الملائكة ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يدعون بهذه الدعوات العظيمة المباركة لأهل الإيمان لماذا ؟ لأن في رابطة بينهم وهي رابطة الإيمان أقوى الروابط ، ولهذا الإيمان يجمع بين المختلف في الجنس ، ويفرق أيضا بين

المتفق في الجسم والهيئة ، تجد الأجسام واحدة والهيئة واحدة وأبناء أب واحد ولكن الإيمان يفرّق ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] فالإيمان يفرق بينهم ويجمع بين حتى من لم يكونوا من جنس واحد ، فكيف بمن هم من جنس واحد!!

فهذا مما يبين أن رابطة الإيمان ورابطة «لا إله إلا الله» هي أقوى الروابط وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] ، ومهما كانت الرابطة بين الناس في غير الله فمآلها إلى الانقطاع قال تعالى ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦] ، كل صداقة ومحبة في غير الله تتحول إلى عداوة ، ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل ، فالذي لله هو الذي يدوم وهو الذي يبقى وهو الذي يتصل . فهؤلاء الملائكة ذكر الله سبحانه وتعالى من شأنهم أنهم يستغفرون للذين آمنوا ويدعون لأهل الإيمان بهذه الدعوات العظيمة المباركة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات .

هذه بعض الآيات التي جاءت في القرآن ، وما ذُكر من الآيات التي جاءت في القرآن متعلقة بالملائكة وشأن الإيمان بالملائكة تدل على ما لم يُذكر ، والواجب على المسلم ان يؤمن بكل ما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بالملائكة الكرام ، والسنة مليئة بالأحاديث التي تتعلق بأعمال الملائكة ووظائف الملائكة وأوصاف الملائكة ، وسيأتي طرف من هذه الأحاديث عند المصنف رحمه الله تعالى .

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .